Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وروحه وعقله بحيث تبدو كل كلمة من كلماته وكأنها قلب يخفق أو زوج يثور، فليست الكتابة عند ابن العميد زخرفاً براقاً يلهو به ولا ثروة لغوية يكاثر بها الكتاب، ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية أو وجدانية يرمي بها كما يرمي البر كان بأقباس الهلاك، وقد يرق فتحسب نثره نجوى حبيبين في هدأة الليل، وهو في رقته، وجزالته وغضبه وحنانه عبقري لا يعبث برجع الحديث المعاد وإنما يجد بإبداع الرأي الصائب والقول الرصين»[1].

وهذا قول ـ وإن كان بلغة الشاعر المتيم أشبه منه بلغة الناقد المحايد ـ يحمل بين ثناياه كثيراً من معالم الصدق والانصاف.. ألم يكن سجعه حلية فطرية رشيقة الألفاظ، قصيرة المقاطع، رنانة الفواصل، عذبة الإيقاع تلمح ذلك في عتابه الرقيق: «ما هذا التغالي بنفسك، والتعالي على صديقك، ولم نبذتني نبذ النواة، وطرحتني طرح القذاة؟ ولم تلفظني من فيك، وتمجني من حلقك، وأنا الحلال الحلو، والبارد العذب؟ وكيف لا تخطرني ببالك خطرة، وتصيرني من أشغالك مرة؛ فترسل سلاماً إن لم تحشم مكاتبة، وتذكرني فيمن تذكر إن لم تكن مخاطبة؟ وأحسب كتابي سيرد عليك فتنكره حتى تتثبت... فقد صرت عندك ممن محا النسيان صورته من صدرك، وإسمه من صحيفة حفظك، ولعلك تتعجب من طمعي فيك وقد توليت، واستمالتي لك وقد أبيت، ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال، ويلين من هو أقسى منك قلباً، فيعود إلى الوصال»[2].

ويبدو أن ابن العميد كان عزيزاً عليه أن يزوّر عنه صديقه ابو عبد الله الطبري فجاهد نفسه كثيراً في استرضائه فما ترضى، وفي الرد على إحدى رسائله كتب إليه مغاضباً يقول: «وصل كتابك، فصادفني قريب العهد بانطلاق، من عنت الفراق، ووافقني مستريح الأعضاء والجوانح من جوى الاشتياق؛ فإن الدهر جرى على حكمه المألوف في تحويل الأحوال، ومضى على

---

(١) النثر الفني جـ ١/٢٠٢.

(٢) زهر الآداب ٣/٢٣٤